المحاضرة التاسعة النظريات السيكولوجية الاجتماعي ومراجعة للنظريات المفسرة للتغير

تركز النظريات السيكو-اجتماعية على دور الفرد في التغير الاجتماعي وعلى دور الافكار التي يحملها الافراد في تغير انماط الحياة ومسارها

وتتأسس هذه النظرية على فرضية أن التغير الذي يصيب المجتمع يحدث اساساً في الافراد فالأفراد هم الذين يتغيرون لهذا يوجد مكان للعوامل النفسية في حركة التغير الاجتماعي

بل واكثر من ذلك هذه العوامل تعتبر ضرورية لتخلق دينامية التغير الاجتماعي فهي التي تدفع المجتمع الى الحركة العوامل النفسية هي التي تخلق الافراد ذوي القدرات الخاصة وهي التي تدفع اعضاء المجتمع الى الخلق والابتكار بدأ هذا الفكر عند ماكس فيبر وتطور فيما بعد

دور الافكار في التغير :-

ظهرت أهمية الافكار في احداث التغير الاجتماعي من خلال دراسة ماكس فيبر عن الاخلاق البروتستنتية وروح الرأسمالية افترض فيبر في هذه الدراسة أن الرأسمالية الصناعية قد ظهرت في الوجود بسبب الحالة السيكولوجية التي ظهرت في أروبا الغربية في القرن السادس عشر ة التي ترتبت على انتشار النزعة البروتستنتية

ويقص بالنزعة البروتستنتية مجموعة من الافكار الجديدة التي طورت المسيحية ادت هذه النزعة الى خلق الروح الرأسمالية لأنها ادت الى ظهور التفكير العقلاني الرشيد بحيث اصبحت العقلانية هي الاساس الذي تنهض عليه الحياة الاجتماعية

هذه النزعة العقلانية هي التي خلقت الدافعية للإنجاز والعمل والربح كما خلقت الدافعية نحو ازدراء الحياة المليئة بالمتعة فالحياة يجب أن تكرس للعمل والانجاز ولخلق مستوى اعلى من الكفاءة في كليهما مع السعي الدائم لتحقيق المثل العليا المرتبطة بالأمانة والشرف والتقشف

هكذا استطاعت البروتستنتية بما تحمله من افكار أن تضع اساس قيام روح الرأسمالية التي ترتبط بالسعي الدائم نحو تحقيق الربح بل وتعظيم الربح هناك تطابق بين روح الرأسمالية وروح البروتستنتية

تهتم البروتستنتية بتنشئة الفرد تنشئة عقلية وتمنح المهنة قيمة كبيرة وتقدس العمل وتجعله نوع من العبادة او الواجب المقدس هي بذلك تمتلك نفس البذور الفكرية للرأسمالية

ولقد سعى فيبر لتأكيد افكاره بطرق عديدة :

- منها تقديم بيانات عن الدول التي ظهرت فيها الرأسمالية وربطها بانتشار الديانة البروتستنتية بين العمال
- ومنها المقارنة بين المجتمعات التي ظهرت فيها هذه الديانة ومجتمعات اخرى لم تظهر فيها

لذلك يؤكد فيبر على الدور الذي تلعبه نوعية خاصة من الافكار في احداث تغير الاجتماعي معين لقد ظهرت الانشطة الرأسمالية في ارجاء مختلفة من الارض وفي اوقات مختلفة عبر الزمن لكن أيا منها لم يكن مثل الرأسمالية الغربية تعتمد اساساً على المبادئ العلمية وعلى نظام قانوني اداري متميز وعلى الكفاءة الفنية والفضيلة والمنافسة الحرة والموازنة المستمرة بين التكلفة والعائد والعمل الحر الرشيد الذي يتحدد من خلال فضائل وقيم تتمثل في الاقتصاد في الانفاق وضبط

النفس والابتكار والتجديدوهذه كلها خصائص نموذجية للرأسمالية الغربية الحديثة التي تختلف في طبيعته عن الرأسمالية التقليدية وجدت افكار فيبر صدي عند عدد من المفكرين الذين اكدوا اهمية العوامل النفسية في التغير

نظرية الشخصية المحددة (ايفرت هاجن):-

- ركز هاجن على دور المجددين في احداث التغير لقد نظر الى المجتمعات التقليدية على انها مجتمعات ساكنة راكدة تعرف نظام جامد للمكانة الاجتماعية
- تتمثل في وجود جماهير الفلاحين وصفوة حاكمة
- تحكم هذه المجتمعات علاقات تسلطية غير مبدعة وغير دافعة للتجديد
- وينعكس ذلك على الافراد الذين يعيشون في هذه المجتمعات

فهم يتصفون بعدم القدرة على التجديد وعدم القدرة على ضبط وتحليل العالم الذي يعيشون فيه مثل هذا المجتمع يعد مجتمعاً ساكناً وقد لا يعرف التغير لقرون ويفترض هاجن أن ثمة علاقة قوية بين طبيعة البناء الاجتماعي وبين نمط الشخصية بحيث يمكن القول أن البناء الاجتماعي لن يتغير الا اذا تغيرت الشخصية

ومن هنا تبدأ نظرية هاجن في التغير الاجتماعي لذلك التغير يرتبط بعوامل نفسية ،أي يخلق انماط الشخصية القادرة على التجديد تتسم هذه الشخصية بالابتكارية والفضول والانفتاح على الخبرة مثل هذه الشخصية تسعى الى ابتكار الحلول الجديدة ولا تقبل ما هو قائم منها

كما انها تنظر الى العالم من حولها على انه عالم يقوم على نظام معين قابل للفهم وتكون بذلك قادرة على حل المشكلات التي تواجهها ويفترض هاجن أن التغير في البناء الاجتماعي للمجتمعات التقليدية يبدأ عندما تظهر مجموعات من الافراد لها هذه خصائص تهدد بناء المكانة القائم وتسحب البساط من تحت اقدامه

مثل هذه الجماعات تظهر بالتدريج ومن خلال عمليات مستمرة من الانسحاب ويرتبط ظهورها وتكاثرها بظهور ظروف اجتماعية ترتبط بالأسرة والتنشئة الاجتماعية وهكذا يحدث التغير بشكل تدريجي فينتقل المجتمع من حالة التسلط الى حالة الابتكار مروراً بعمليات وسيطة ترتبط بتحدي نظم المكانة القائمة بالانسحاب منها

نظرية المجتمع المنجز (ماكليلاند):-

- اهتم ماكليلاند مثل هاجن بنوع معين من التغير هو التغير الاقتصادي ومال – مثله مثل هاجن – ميلاً سيكولوجياً في تحليله لعملية التغير في المجتمعات التقليدية
- وكانت نقطة الارتكاز عنده هي الدافعية للإنجاز لقد اكد على ان عملية التنمية الاقتصادية – سواء في المجتمعات القديمة او الحديثة – تظهر دائماً بناء على ظهور متغير سابق عليها هو الحاجة الى الانجاز .

ومن ثم فان المجتمع الذي تظهر فيه هذه الحاجة يكون اقدر على التغير من غيره لأنه ينمي القدرات الابداعية وتخلق فيه دافعية قوية للانجاز .

وبناء على ذلك فقد رفع ماكليلاند شعاراً يقول فيه "استثمر في صناعة رجل ولا تستثمر في صناعة طائرة ".

ويقصد ماكليلاند بالحاجة الى الانجاز القدرة على الانجاز الاقتصادي الفردي الذي ينتج النمو الاقتصادي . ويلاحظ القارئ للصفات التي يتصف بها الشخص صاحب الدافعية القوية الانجاز ، ان هذه الفئات تتشابه مع الصفات التي أعدها ماكس فيبر كقوى دافعة لنشأة الرأسمالية .

فالفعل المنجز هو الفعل الذي يتأسس على الحسابات الدقيقة ، والذي يتجه بحذر وشفافية نحو تحقيق النجاح الاقتصادي ، بحيث يتجاوز الوجود المعيشي القائم على الكفاف ، كما يتجاوز الوجود التقليدي المرتبط بالنشاط الحرفي .ولذلك فانه اعتبر أن تراكم النقود هو احد مقاييس الدافعية للانجاز أو الحاجة الى الانجاز .

ومن المقاييس الأخرى الدالة عليه :

- تفضيل الاعمال الصعبة
- وتفضيل الدخول في المخاطرات المحسوبة ،
- ووجود نشاط تجديدي خلاق
- ووجود قدر من تحمل المسؤولية ،
- وميل نحو تخطيط الافعال الفردية .

ويفترض ماكيلاند أن الحاجة الى الانجاز تعد المحرك الاساسي لعملية التغير الاجتماعي ،وبناء عليه فاذا اردنا أن نتعرف على حجم التغير في مجتمع من المجتمعات ، فان علينا أن نتعرف على وجود حجم الدافعية للانجاز بين افراده ، وذلك من خلال قياسها عبر المؤشرات الدالة عليها .

كما يمكن التعرف عليها من خلال إحصاء عدد الافراد المنحرفين في انشطة تنظيمية . ويفترض ماكليلاند ان ثمة علاقة بين الحاجة الى الانجاز وبين اساليب التنشئة الاجتماعية . فالدوافع يمكن اكتسابها بالتعلم. ولذلك فان ما يتعلمه الفرد من دفع في بداية حياته يؤثر تأثيراً كبيراً على مجرى سلوكه في المستقبل ، كما ان المهارات التي يتعلمها الفرد بعد ذلك يمكن ان تخلق لديه الدافع للإنجاز أو تسلبه اياه

ولذلك فان المجتمعات التي تفتقد دوافع الانجاز عليها أن تركز على عمليات التنشئة الاجتماعية لكي تخلق الأفراد القادرين على تحمل المسؤولية وعلى مواصلة تحقيق الاهداف بقدر كبير من المثابرة والانجاز .

ولقد انتقد ماكليلاند لإسرافه في ابراز العوامل النفسية ونظرته الى الدافعية للانجاز على انها العامل الوحيد المحرك للنمو الاقتصادي الامر الذي جعله يعدل من نظريته ، مؤكداً على ان الافراد الذين يتعلمون تحت ظروف ثقافة تقليدية يمكن ان يحققوا انجازات اقتصادية وغير اقتصادية .

- ومن هنا بدأت نظرية ماكيلاند تركز لا على التنشئة الاجتماعية فقط ، ولكن على التدريب وتغيير الاتجاهات .
- فعمليات التدريب مستمرة يمكن أن تخلق في الأفراد – ذوي الاتجاهات التقليدية – اتجاهات جديدة تدفعهم نحو مزيد من تحقيق النمو الاقتصادي ، وخلق فرص جديدة للعمل ورفع مستوى المعيشة ومن ثم تخلق لديهم دافعية قوية للانجاز .
- نظريات التغير الثقافي :-
- لم يقتصر علماء الاجتماع والأنثروبولوجي في دراستهم للثقافة ، كما يعتقد على دراسة اثنوجرافية متناثرة عن ثقافات شعوب مختلفة ومتباينة ، بل حاول بعضهم أن يقدم صياغات نظرية منظمة تفسر لماذا وكيف يحدث التغير الثقافي ؟

وتجيب على الكثير من التساؤلات المرتبطة بهذا الموضوع ، ونستطيع دون الدخول في مناقشات مستفيضة حول تقييم كفاءة هذه النظريات ،ان نصنف هذه المحاولات الى فئتين متميزتين تمثل الاولى بعض المحاولات التي تعرف باسم النظريات التطورية في مقابل لمحاولات التي تكون ما يسمى بالنظريات الحتمية وذلك على النحو التالي :

أ) النظريات التطورية في تفسير التغير الثقافي:-

وهي تمثل في مجموعها مختلف المحاولات التي تبذل لتفسير وفهم التغير الثقافي من منظور العملية التطورية والتي استعارت فكرتها من علم البيولوجيا كما ذكرنا في المحاضرات السابقة هذه النظريات في تحليل وتفسير التغير الثقافي على فكرتين اساسيتين هما :-

أن التغير الثقافي يحدث بمعدلات أكثر تباطؤ

أن التغير الثقافي يسير بالضرورة في مجموعة محدودة من المراحل التعاقبية وذلك حسب الاتي:-

فيما يتعلق بالفكرة الاولى نجد (سمنر)يعبر عنها في كتابه (الطرائق الشعبية)

يجب أن ننظر للعرف على أنه نسق اوسع من ممارسات تغطي كل اوجه حياتنا وتخدم مصالحنا وتحتوي في داخلها على مبررات وجودها وذلك من خلال التقليد والعادة والاستخدام

وتتأكد عن طريق الجزاء او ترتبط بالرغبات الى أن تطور فلسفة خاصة بها وتعميمات اخلاقية تعبر عن مبادئ الحق والخير

وبوجه عام تجبر الاجيال الجديدة على تقبل الاعراف وهي بذلك لا تستحث الفكر بل على العكس تمثل اجابات او حلول لمشكلات حياتنا اليومية وفي ظل هذا الوضع تصعب أي محاولة لإعادة التنظيم الكلي للثقافة وجهة نظر سمنر تؤكد الطابع المحافظ للثقافة

يقدم وليم اجبرن بعض التعديلات الجوهرية لنظرة سمنر المحافظة ويقدم اجبرن في نظريته التخلف الثقافي فكرة تميز بين ما اسماه الثقافة المادية واللامادية موضحاً كيف تتوافق عناصر الثقافة اللامادية مع الظروف المادية أي أن السلوك ينتظم في علاقته بموضوعات مادية بحته

والمشكلة الوحيدة التي عبر عنها اوجبرن في هذا التغير هو سرعة تغير الثقافة المادية لذلك تحتاج المجتمعات الحديثة للإسراع بتغيير الجانب غير المادي للثقافة ليتواكب مع تغير الجانب المادي

اما فيما يتعلق بالفكرة الثانية التي تتعلق بتحديد المراحل التطورية للتغير الثقافي نجد أن علماء الأنثروبولوجيا الاوائل قد شغلوا بفكرة الاشكال البدائية والحديثة للثقافة فقد قدم اوجست كونت قانون الحالات الثلاثة الذي يكشف عن مراحل تنعكس على الشعور والافعال التي يقوم بها الناس والطريقة التي يفكرون بها

مراجعة لنظريات التغير الاجتماعي :-

نقدم في هذا الجزء مراجعة للنظريات التي قدمناها لتفسير ظاهرة التغير الاجتماعي

نركز فيها على اهم الافكار التي عبرت عنها الاتجاهات النظرية المختلفة

فقد قدمنا عدد من النظريات خلال ثلاث محاضرات

نراجع اهم افكارها

1)لماذا ظهرت نظريات التغير الاجتماعي

يفكر علماء الاجتماع في رصدهم لظواهر التغير الاجتماعي في الأساليب التي يحدث بها التغير وفي الاطراد أو الانتظام الذي قد يتبدى في هذه الأساليب وبالتالي ظهرت النظريات التي حاولت أن تفسر هذه النظريات

2)هل استطاعت النظريات أن تفسر الظاهرة؟

ورغم أن نظريات التغير الاجتماعي التي ظهرت عبر التاريخ قد تطورت كثيرا وازدادت دقة وأحكاماً ، وانتقلت من مرحلة التفكير التأملي والتاريخ الظني إلى الاحتكام إلى الواقع وحشد البراهين التاريخية الدالة على صحة النظرية بالرغم من هذا فإن أيا من هذه النظريات لم يتوصل إلى كلمة نهائية في رصد ظواهر التغير وتفسيرها

3)يرتبط تفسير ذلك بطبيعة الظاهرة

ويرجع السبب في هذا إلى أن الواقع الاجتماعي- التاريخ بمعناه الواسع- يكشف دائما عن أدلة وبراهين جديدة إذا دعمت بعض النظريات فقد تؤدي إلى زيف نظريات أخرى ، بل أنها قد تدحض كل النظريات القائمة

أولا: ما هي النظريات الحتمية؟

نقصد بالنظريات الحتمية تلك النظريات التي تركز في دراستها للتغير الاجتماعي على عامل واحد فحسبوتفترض كل نظرية من هذه النظريات أن عاملا واحدا – كالاقتصاد أو المناخ أو غيرها – هو العامل الوحيد الذي يحرك العوامل الأخرى

- تسمي ايضاً بالنظريات الاختزالية
- هذه النظريات توصف بأنها نظريات اختزالية أي أنها تختزل كل العوامل في عامل واحد ، وتعتبر أن هذا العامل هو العامل الكافي وحده لحدوث التغير
- وقد انتشرت الحتميات في كافة فروع العلم السياسي والاجتماعي في المراحل المبكرة لنشأة هذا العلم وجاءت في معظمها متأثرة بعلوم أخرى الجغرافية تأثرت بالجغرافيا والبيولوجية تأثرت بالبيولوجيا

ما هو موقف العلم من هذه النظريات؟

ولقد انقرضت هذه الحتميات من التفكير العلمي ،ونحن إذ نشير إليها في مطلع حديثنا عن نظريات التغير الاجتماعي فإننا نذكر بتاريخ العلم ونوضح الأسس المعرفية التي قامت عليها النظريات الحديثة سبب ذلك تأكد العلماء من أن الظاهرة الاجتماعية معقدة ولا يمكن أن يفسرها عامل واحد

نموذج للنظريات الحتمية

أ) الحتمية الجغرافية

فقد ذهبت إلى القول بأنه إذا كانت الظروف الجغرافية هي التي تحدد صفات الناس وسلوكهم ، فان هذه الصفات وذلك السلوك لن يتغير إلا إذا تغيرت الظروف الجغرافية وفي ضوء هذه الفرضية فسر هنتنجتون ظهور الحضارات وسقوطها ، فقد ازدهرت حضارة وادي النيل نظراً لتوفر ظروف جغرافية خاصة بملائمة الطقس والتربة ونوعية المحاصيل

ب) الحتمية البيولوجية

تتأسس الحتمية البيولوجية على فرضية مؤداها أن الناس في العالم ينقسمون إلى أجناس وجماعات متميزة بيولوجيا وان الأجناس تختلف في قدرتها على تطوير الحياة الاجتماعية وتنميتها وان نوعية الحياة لدى شعب من الشعوب هي مؤشر على قدراتها البيولوجية- العرقية

وفي ضوء ذلك تتبلور الفروق بين الشعوب ، كما تفسر التغيرات الاجتماعية التي تظهر لدى الشعوب ، سواء التغيرات السلبية (المرتبطة بالتخلف أو التقهقر الحضاري) ، أو التغيرات الايجابية التي تفسر بظهور أشكال من التفوق الكامن في شعب من الشعوب.

ولقد تطورت فكرة ارتباط الطبقات المختلفة بخصائص بيولوجية مختلفة تطورت لتعمم على الفروق بين المجتمعات.

ومن المتغيرات البيولوجية التي يتم التركيز عليها في هذا الصدد المتغيرات التالية :

- اثر التفاوت الوراثي على التغير الاجتماعي
- اثر التفاوت بني الأفراد في الذكاء والإمكانات الجسمية والنفسية المختلفة (دور الزعامة الكاريزمية) .
- اثر البيئة الصحية العامة لشعب من الشعوب على تطوره ونموه الاقتصادي والاجتماعي
- اثر الانتخاب الطبيعي والاصطناعي على الأشكال المختلفة لهرم السكان (نسبة عدد الذكور إلى عدد الإناث ، نسبة المواليد إلى الوفيات، نسبة الكبار إلى الصغار)

ماهي اسباب رفض هذه النظريات ؟

1) أنها نظريات اختزالية ذات نظرة أحادية.
2) أنها نظريات متحيزة تميل إلى تبرير أفكار تفوق جماعة على اخرى
3) أنها نظرية غير علمية لأنها تؤكد سبباً واحداً دون تمحيص علمي
4) أنها قد أدت إلى كثير من الصراعات بين الشعوب
5) أنها ولدت أشكالاً من العنصرية السياسية التي يعاني منها عالمنا المعاصر كالعنصرية الصهيونية

ثانياً:ماهي النظرية التطورية؟

ولقد ظهرت النظريات التطورية من خلال الاعتقاد بان المجتمعات تسير في مسار واحد محدد سلفا عبر مراحل يمكن التعرف عليها ويتفق التطوريون على فكرة تطور المجتمع لكنهم يختلفون حول قضايا ثلاث : ناقش

الأولى : تتصل بمراحل التطور أي عدد المراحل التي يمر بها مسلك التطور الاجتماعي .

والثانية : حول العامل الرئيسي المحرك للتطور ، هل يظهر التطور نتيجة لتغير في الأفكار والمعتقدات أم يظهر نتيجة لتغير في التكنولوجيا والعناصر المادية ؟

والثالثة : تتصل بوجهة التطور هل التطور يسير في مسلك خطي تقدمي أم يسير في مسلك دائري بحيث يعود من حيث بدأ؟

بناءً على البعد الثالث وهو المتصل بوجهة التطور وتنقسم نظريات التطور إلى نوعين:

- نظريات التطور الخطي فكرتها الاساسية في التغير هي انه يسير في خط مستقيم
- ونظريات التطور الدائري فكرتها الاساسية في التغير هي انه يسير في تطور دائري فيبدأ من حيث بدأ في المرة الاولى

نماذج لها

- ومن الأمثلة عليها نظرية أوجست كونت عن تطور المجتمعات من المرحلة الوضعية
- ونظرية ماركس في التحول من المجتمع المشاعي إلى المجتمع الإقطاعي إلى المجتمع الرأسمالي إلى المجتمع الاشتراكي
- ونظرية لويس مورجان عن التحول من المجتمع البدائي إلى المجتمع البربري ، إلى الحضارة
- ونظرية سبنسر في التحول من المجتمع العسكري إلى المجتمع الصناعي، ذلك التحول الذي يصاحبه تحول من حالة التجانس المطلق إلى حالة اللاتجانس غير المستقر .

ويكمن الخلاف بين المفكرين التطوريين في عنصريين أساسيين:

الأول يرتبط بعدد مراحل التطور

والثاني يرتبط بطبيعة العامل المحرك للتغير

اوجست كونت يرجع التغير لتقدم العقل

والتقدم الاجتماعي في نظره مظهر من مظاهر التطور العقلي ، وقوانينه مستمدة من قوانين تطور الفكر التي تصور انتقال التفكير الإنساني من المرحلة اللاهوتية إلى المرحلة الفلسفية الميتافيزيقية ، ثم إلى المرحلة العلمية الوضعية .

وهي ثلاث مراحل

هنري مورجان يرجعها للتكنولوجيا

ولقد استنتج على أساس من المعطيات التاريخية أن الثقافة تتطور في مراحل متتابعة وان ترتيب هذه المراحل هو ترتيب حتمي وان محتواها محدد لان العمليات العقلية تتشابه بين الناس في ظل ظروف متشابهة في المجتمعات المختلفة .

ولقد وصف تقدم النوع الإنساني من خلال ثلاث مراحل رئيسية للتطور:

- المرحلة البدائية
- والمرحلة البربرية
- ومرحلة المدنية

فيفترض أن مراحل التطور التكنولوجي ونظم القرابة ترتبط بمختلف المؤسسات الاجتماعية والسياسية

ويؤكد مورجان أن كل مرحلة قد بدأت بابتكار تكنولوجي أساسي كما يؤكد مورجان أن كل مرحلة من مراحل التطور التكنولوجي ترتبط بعلاقة متبادلة مع تطورات مميزة في الأسرة والدين والنظام السياسي وتنظيم الملكية

ماهي النظريات الدائرية؟

يذهب أصحاب هذه النظريات إلى أن التغير يتجه صعوداً وهبوطاً في تموجات على شكل أنصاف دوائر متتابعة وبنظام مطرد ، بحيث يعود المجتمع من حيث بدأ في دوره معينة

وتنقسم النظريات الدائرية إلى نوعين :

- بعضها يفسر جانباً محدداً من جوانب الحياة الاجتماعية أو يشرح ظاهرة أو نظاماً اجتماعياً واحداً ،
- وبعضها الأخر يهدف إلى تفسير المجرى العام للتاريخ ، متناولاً جميع الظواهر والنظم والانساق الاجتماعية دون أن يركز على ظاهرة واحدة أو نظام بذاته ،

❑ ابن خلدون:-

يرى ابن خلدون أن المجتمع الإنساني كالفرد يمر بمراحل منذ ولادته حتى وفاته ، وان للدول أعماراً كالأشخاص سواء بسواء ، وعمر الدولة في العادة ثلاثة أجيال ، والجيل أربعون سنة ، فعمر الدولة إذن مائة وعشرون سنة ، وفي هذه الأجيال يمر المجتمع بمراحل ثلاث هي : حح

❑ مرحلة النشأة والتكوين مرحلة النشأة والتكوين
❑ مرحلة النضج والاكتمال
❑ مرحلة الهرم والشيخوخة

فيكو:-

وقد وضع نظرية دائرية في تطور المجتمعات مؤداها أن المجتمع الإنساني يمر في ثلاث مراحل هي :

- المرحلة الدينية أو الإلهية: وفيها يرجع الناس كل شيء إلى الآلهة.
- المرحلة البطولية : وفيها يرجعون كل شيء إلى العظماء والأبطال
- المرحلة الإنسانية : وفيها أصبحت الجماهير أو الشعوب هي المحرك الحقيقي لكل شيء

ويؤدي منطق نظريته إلى أن الإنسانية لا تستقر ولكنها تسير سيراً دائرياً فعندما تستقر فترة معينة في المرحلة الأخيرة فإنها سرعان ما تعود القهقري إلى المرحلة الأولى ، ولكن بشكل مغاير وبصورة أكثر رقياً أي أن أخر طور من هذه الأطوار إنما يمهد للطور الأول ولكن بشكل أرقى ولذلك أطلق على نظريته قانون النكوص. اوزفالد شبنجلر:-

Oswald Spangler الذي يعد من أشهر أصحاب النظرية الدائرية في كتاب سقوط الغرب أو انهيار الغرب اهتم بالحضارات وشبهها بحياة الكائنات الحية التي تمر بمرحلة الشباب ثم الرشد ، فالشيخوخة المحتومة ، وقد درس شبنجلر سبع حضارات حاول أن يستكشف عوامل صعودها وهبوطها وتبين له أنها جميعا مرت بمراحل إنشاء ونمو ، ونضج ، ثم انحدار

ارنولد توينبي:-

ويؤكد أن فكرة التحدي والاستجابة تمثل سبب نقل القوى فيرى أن الاستجابات الناجحة للتحديات تنتج عنها عناصر النمو ، وتستمر الحضارات في النمو طالما استمرت أقليتها المختارة في استجاباتها الخلاقة المتكافئة مع التحديات الجديدة ،أما عملية الانحلال فتبدأ حين تفقد هذه الأقليات ديناميكيتها ولا تستطيع أن تستجيب بشكل خلاق للتحديات الجديدة

- نستخلص من ذلك أن توينبي قد حصر نطاق التغير في ثلاث أحوال أساسية
- الأولى هي : حالة التوازن أو التكافؤ ،
- والثانية هي : الانتقال إلى حالة اللاتوازن
- ثم أخيراً حل الأزمة أو المشكلة أي الانتقال إلى حالة جديدة.

- وقد اجل توينبي طبيعة الانهيار الحضاري في ثلاث نقاط:

1. الأولى: إخفاق الطاقة الإبداعية في الأقلية المبدعة وعندئذ تتحول تلك الأقلية إلى أقلية مسيطرة.
2. الثانية : ترد أغلبية المجتمع على طغيان الأقلية بسحب الولاء لهذه الأقلية وعدم محاكاتها.
3. . الثالثة: يستتبع عدم الثقة بين أقلية المجتمع الحاكمة وأغلبيته المحكومة ضياع وحدة المجتمع الاجتماعية وانهياره

ومن الواضح أن أصحاب النظريات الدائرية يتفقون على فكرة أن التاريخ يعيد نفسه ، وان الخبرات التاريخية للمجتمعات يمكن أن تتكرر ولكنهم – مع ذلك- يختلفون في رؤيتهم لهذه الحركة الدائرية للمجتمعات ، فبعضهم يحدد مراحل ثابتة تمر بها كل المجتمعات كما في نظرية شبنجلر أو نظرية سوروكين ، بينما يميل البعض الأخر إلى الحديث عن دورات يمكن أن تتكرر هنا وهناك دون تحديد مراحل ثابتة كما هو الحال في نظرية باريتو أو نظرية توبيني.

نقد النظريات التطورية:-

أنها تفرض مخططا تطورياً ثابتاً على كل المجتمعات دون النظر إلى واقع هذه المجتمعات وسياق أبنيتها الداخلية.

أنها تعتبر التطور عملية حتمية أو ضرورية في كل المجتمعات .

أنها تهمل التطور متعدد الخطوط فالتطور أما أن يكون تقدميا أو رجعيا وهي بذل تمهل أشكال التطور الأخرى الوسيطة .

ثالثاً : النظرية الوظيفية

وغالباً ما تشير الوظيفية إلى الإسهام الذي يقدمه الجزء إلى الكل، وهذا الكل قد يكون متمثلاً في مجتمع أو ثقافة، وهي تؤكد ضرورة تكامل الأجزاء في إطار الكل، أو ما يطلق عليه في بعض الأحيان تساند الأجزاء، أي أن النسق الاجتماعي تؤدي فيه أجزاؤه وظائف أساسية لتأكيد الكل، وتثبيته وتقويته وبالتالي تصبح الأجزاء متساندة ومتكاملة. وغالباً ما تشير الوظيفية إلى الإسهام الذي يقدمه الجزء إلى الكل، وهذا الكل قد يكون متمثلاً في مجتمع أو ثقافة، وهي تؤكد ضرورة تكامل الأجزاء في إطار الكل، أو ما يطلق عليه في بعض الأحيان تساند الأجزاء، أي أن النسق الاجتماعي تؤدي فيه أجزاؤه وظائف أساسية لتأكيد الكل، وتثبيته وتقويته وبالتالي تصبح الأجزاء متساندة ومتكاملة.

وهناك معنى محدد لمصطلح الوظيفية في علم الاجتماع، والعبارة التالية تشير إلى الاستخدام الشائع له، حيث يقول ميرتون "إن الوظيفة الاجتماعية للدين تتمثل في المحافظة على تماسك الجماعة، وتشير الوظيفية هنا على نتيجة موضوعية ومشخصة ترتبط بالظاهرة الاجتماعية داخل نسق واسع هي جزء منه، وتعتبر الوظائف الظاهرة نتائج موضوعية للنسق يعترف بها المشاركون فيه، بينما لا تشير الوظائف الكامنة إلى مثل هذه النتائج".

ويرى ميرتون أن الوظيفية هي تلك الآثار أو النتائج التي يمكن ملاحظتها والتي تؤدي إلى تحقيق التكيف، والتوافق في نسق معين ميز بين الوظائف الظاهرة والوظائف الكامنة فالأولى تشير إلى النتائج الموضوعية التي تحدثها سمة اجتماعية أو ثقافية معينة الثانية فتشير إلى النتائج غير المقصودة وغير المقررة.

الوظيفة الظاهرة للاستهلاك الاقتصادي هي الانتفاع، بينما تحقيق الهيبة وتأكيدها تعتبر إحدى الوظائف الكامنة لهذا الاستهلاك

وتهتم الوظيفية بدراسة مسائل ثلاث هي: دراسة بناء النسق ، ودراسة وظيفة النسق ، ودراسة نمو النسق أو تطوره.

وترى الوظيفية أن التغير الاجتماعي يطرأ على البناء الاجتماعي ثم يتبعه تغير وظيفي من أجل تحقيق وجود النسق ذاته كما وأن آلية التغير تأتي من عوامل خارجية وعوامل داخلية، والوظيفيون منقسمون حول هذه العوامل، في إطار الإشكالية التالية: هل يرجع تغير النسق الاجتماعي إلى عوامل داخلية؟ أم إلى عوامل خارجية؟ أم لكليهما معاً؟

- والخلاصة: أن الوظيفية تشير إلى التأكيد على تكامل الأجزاء في الكل والتساند والتكامل فيما بينها، وأن كلاً من الجزء والكل يؤدي وظيفة خاصة به، بحيث لا يكون غيره قادراً على القيام بها، ويشبه ذلك إلى حد بعيد قيام أعضاء الكائن العضوي بوظائف خاصة بكل عضو، وهي متساندة وضرورية من أجل أن يقوم الكل بعمله ويحفظ استمراره، ووجوده. وكذلك المجتمع الذي يقوم الأفراد فيه بوظائف محددة وضرورية ومتساندة من أجل بناء المجتمع في نهاية الأمر

وتحدث عملية التغير، حينما يعجز النظام عن تلبية أهداف ومتطلبات الوحدات فيه، أي حينما تكون المؤسسات غير قادرة على تلبية متطلبات وحداته وتذهب الوظيفية إلى تغير النسق إنما يكون تدريجياً وليس فجائياً

وخلاصة القول أن النظرية الوظيفية في عمومها تنظر إلى المجتمع باعتباره نسقاً اجتماعياً يؤدي دوره في ضوء معنى معين وهدف معين، وهو إشباع حاجات أفراده (وحداته). وأن هناك عوامل محددة ترتبط فيما بينها ارتباطاً وظيفياً تؤدي إلى تشكيل النسق أو تغييره

رابعاً : النظريات التحديثية

والملاحظ أن النظريات التحديثية تعتبر المتغير التقني عاملاً رئيسياً في عملية التحديث والتغير الاجتماعي عامة ولما كانت المجتمعات تتغير أنظمتها عن طريق التصنيع في الدرجة الأولى، لهذا فإن دراسة التصنيع تتطلب دراسة التحديث بكل أبعاده.

وجاءت تعريفات عديدة للتحديث منها: أنه يعني الأخذ بالأسباب المؤدية إلى تغير المجتمع إلى حالة أفضل مما كان عليها عن طريق الوسائل التكنولوجية الحديثة.

وهناك علاقة تاريخية بين مفهوم التحديث، ومفهوم التشبه بالغرب أي "التغريب" الذي يعني الأخذ بالانساق الاجتماعية، والسياسية والاقتصادية وغيرها من البنى التي تولدت في الغرب ولا شك أن الأساس العام للنظريات التحديثية هو الاتجاه الوظيفي، إلا أنها تتميز عنه في كونها لا تهدف إلى خلق توازن وظيفي للبناء الاجتماعي بقدر ما تهدف إلى الوصول إلى نموذج مثالي، وهو نموذج المجتمع الغربي الصناعي الذي تنتهي إليه عملية التحديث

وتنظر النظريات التحديثية من جوانب عدة إلى عملية التغير الاجتماعي، وإلى التنمية عموماً، ومن حيث الوسائل الموصلة للأهداف المقررة، إلا أنها تشترك في أن عملية التحديث لا تأتي إلا من خلال "تغريب" المؤسسات الاجتماعية في المجتمعات النامية.

وتؤكد النظريات التحديثية أن عملية التحديث تتم وفق الآيديولوجية الرأسمالية مستبعدة ملكية الدولة لوسائل الإنتاج التي تسميها رأسمالية الدولة، معتبرة النماذج الاشتراكية في التنمية بعيدة عن دائرة العقلنة الاقتصادية، لأنها تتجاهل الشروط اللازمة لربحية العمل، والحد من الملكية الخاصة وغير ذلك من المقولات الأخرى.

ومن أبرز الممثلين للنظريات التحديثية:

نظرية سملسر:

تركز نظرية سملسر Niel Semelser بشكل خاص على التنمية الاقتصادية وعلى التمايز كركن أساسي للتحديث.

ركز سملسر على التغيرات:

1-في مجال التقنية (التكنولوجيا

2-وفي مجال الزراعة

3-وفي مجال الصناعة

4-وفي مجال الترتيبات الأيكولوجي

- وقد تنبه سملسر إلى حقيقة اختلاف النتائج الاجتماعية لدى المجتمعات. أي أن نتائج العمليات السابقة ليست واحدة، وإنما تختلف من ناحية إلى أخرى، ومن مجتمع إلى آخر

نظرية ولبرت مور:

يعتبر ولبرت مور W. Moore من الممثلين الرئيسيين للنظرية التحديثية وهو يربط بين التحديث والتصنيع والتلازم بينهما.

ويعني بالتحديث التحول الشامل للمجتمع التقليدي – ما قبل التحديث – إلى المجتمع المتقدم المزدهر اقتصادياً والمعتمد على التكنولوجيا والمتمتع بالاستقرار السياسي مثل العالم الغربي

- ويرى أن التمايز بين المجتمع التقليدي والحديث يكمن في مدى امتلاك التكنولوجيا واتباع التصنيع بوجه عام.
- وأن المجتمعات التقليدية لن تصل إلى التحديث إلا بالأخذ بنمط الثقافة الغربية في المجالات المادية والفكرية،
- ويؤكد على أن فكرة التمايز قد جاءت عند التطوريين الاجتماعيين قبل وبعد أعمال دارون Darwin ويقصد بالتمايز التخصص في العمل كظاهرة مصاحبة للنمو السكاني والتنمية من ناحية عامة.

وتتم عملية التحديث في المجتمعات التقليدية عن طريق المحاكاة للمجتمعات الصناعية الغربية، وخاصة في اكتساب التصنيع الذي يؤدي إلى النمو الاقتصاد، على أن يسبق ذلك تحريك، وتهيئة الأفراد من الناحية الفكرية، من أجل استيعاب التكنولوجيا، والتغيرات التي ستتبعها، تلك التغيرات التي ستحل في البناء الاجتماعي بكل أبعاده.

وقد اوضح ضرورة تغير القيم وتغير في المؤسسات وتغير التنظيم ثم تغير الدافعيةإن العوامل الأربعة السابقة تلعب الدور الأساسي في دفع عجلة التصنيع نحو التحديث.